



المخاوف الوهمية أمر اعتيادي للأطفال. ففي سن الثالثة أو الرابعة ينشأ نوع جديد من المخاوف يتصل بالظلم والكلاب وألات إطفاء الحرائق والمموت والمقعدين والمعوقين وما إلى ذلك. فمخيلة الطفل عند بلوغه هذا العمر، تكون قد تطورت بحيث أصبح يعي الأخطار المحدقة به. وإن فضوله يتشعب في جميع الاتجاهات ولا يعود يكتفى بالسؤال عن أسباب هذا الشيء أو ذاك، بل يود أن يعلم ما هي صلة هذا الشيء به. إنه يسمع عن الموت، وبعد أن يستفسر عنه يسأل إذا كان سيموت هو أيضاً ذات يوم.

وتكثر هذه المخاوف لدى الأطفال الذين اضطربت أعصابهم فيما مضى بسبب التغذية والتدريب على المرحاض وما أشبه ذلكن أو الذين استثيرت مخيلاتهم بالحكايات المخيفة أو المآذارات المتعددة، أو الذين لم يمنعوا فرصة لانماء شخصياتهم، أو الذين أفرطوا في حمايتهم. ويبدو أن الماضي أثراً على الطفل على شكل مخاوف واضحة. ولما أعني بهذا أن كل طفل يشكو من المخوف قد أسيئ معاملته فيما مضى. وفي ظني أن بعض الأطفال يأتون إلى هذه الدنيا بأحساس مرهفة أكثر من بعضهم الآخر، وإن جميع الأطفال معرضون للخوف من شيء ما، مما كانت درجة العناية بهم.

إذا كان طفلك يخشى الظلمة، حاولي طمانته بالأعمال تاباً للأقوال. لا تهزيء بي أو تغضبي عليه أو تجادلي بهدا الشأن. دعيه يتحدث عن مخاوفه إذا شاء، وحاولي إقناعه بأنك متأكدة من أنه لن يصاب بأي سوء ما دمت تحببتيه برعايتها وحمايتها. ولما يجوز بالمطبع أن تهدي طفلك ب الرجال الشرطة والشياطين وما إليهم. أبعديه عن مشاهدة الأفلام المخيفة، وعن سماع قصص الجن، ولما تستمر في صراعك معه حول شؤون التغذية أو المتبويل في المفاصد. وجهيه إلى التصرف بشكل سليم منذ البداية بدلاً من أن تدعوه يتصرف حسب هواء، فتضطري عذراً إلى تقويم أهوجاجه. ابحثي له عن أصحاب يلابونه كل يوم. لا تغلقي باب غرفته أثناء الليل. وإذا شئت أضئي غرفته بنور خافت تبديلاً للظلم.

واعلمي أنه على المأرجح سيطرح أسئلة عن الموت عند بلوغه هذا العمر، فاستعدى لذلك بأجوبه تبديد مخاوفة الآنية، كأن تقولي له بأن كل انسان سيموت عندما يشيخ ويصبح مرهاقاً وعاجزاً، ويفقد الرغبة في الحياة، أو إن الانسان عندما يصاب بمرض عضال يأخذنه الله ليعتني به. احتضنيه والعبني معه، وطمئنيه إلى إنكمما ستقضيان سنوات عديدة سوية.

إن المخوف من الحيوانات أمر اعتيادي لدى الأطفال في مثل هذا العمر. لا تحاولي تقريريه من كلب أو حيوان أليف لتبعثي المطمأنينة في نفسه. فخوفه من الحيوانات سيتبدد تلقائياً مع مرور الوقت. ويصبح القول نفسه في المخوف من الماء. لا ترغمي طفلك على المنزول في حوض من الماء إذا كان ذلك يخيفه. هذا النوع من المخوف يزول أيضاً مع مرور الوقت.

ويكافح الطفل بطبعته هذه المخاوف باللجوء إلى الألعاب تتصل بها. فالخوف لدى الإنسان يحمله على القيام بعمل ما لتبييد ذلك المخوف. وإن مادة «الأدربيالين» التي يفرزها الجسم عند المخوف تزيد من دقات القلب، وتولد السكر المازم لزيادة الحركة فيندفع الإنسان في جريه كالريح، أو يقاتل كأشعرس الحيوانات. إن النشاط يبعد المخوف أما المتعود فيهبه. فإذا كان طفلك يخشى الكلاب، دعيه يسدد لكلمات من قبضة يده إلى دمية تمثل كلباً فيعيد ذلك شيئاً من الاطمئنان إلى نفسه.

المخوف من الأذى. سأبحث في المخوف من الأذى الجسماني لدى الطفل بين منتصف سن الثانية وسن الخامسة على حدة، لأن هناك نوعاً خاصاً من العلاج لهذه الحالة. فالطفل في هذا العمر، يود أن يعلم سبب كل شيء، وينزعج بسهولة، ويتخيل أن الأخطار التي يشاهدها ستدهمه. فإذا شاهد رجلاً كسيحاً أو مشوهاً، يود أولأً أن يعلم ماذا أصابه، ثم يروح يتتساءل عما إذا كان سيصاب هو أيضاً بالأذى نفسه. ولما يضطرب الأطفال من رؤية الإصابات الحقيقية فحسب، بل يضطربون أيضاً لاختلافات الطبيعة بين الذكر والأنثى. فإذا شاهد صبياً بنتاً عارية، يعجب لفقدانها القظيب، ويسأله عما حل به. فإذا لم يتلق جواباً مقنعاً في الحال، يستنتاج أن مصيبة ما حلت بقضيبها، ثم يروح يتتساءل عما إذا كان سيصابه ما أصابها. وتقع البنت في المحيزة نفسها إذا شاهدت صبياً عارياً، وتروح تسأله بقلق عن قضيبها وما حل به. ولما يجوز أن تتجاهلي أسئلة كهذه أو تحاولي منع الطفل من طرحها، لأن ذلك يزيد من مخاوفه ويحمل الأنثى على المعتقد بأن مصيبة ما حلت بقضيبها. ويجعل الذكر يتخيل بأن المخطر نفسه يتهده هو أيضاً. وبينما الإيجابة عن هذا المسؤال بأن الطبيعة شاعت أن يختلف الذكور عن الإناث في التكوين، وإن المصبي يشبه أبيه والبنت تشبه أمها، وإن كليهما سيكون سعيداً في المستقبل بتكونيه المخاص.